الصراع بين الأمير عبد القادر وزاوية عين ماضي وموقف المغرب وفرنسا من ذلك

د. نورالدين بلعربي
جامعة الجيلالي بونعامة/ خميس مليانة

الملخص

لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في تاريخ الجزائر عامة وتاريخ المقاومات الشعبية خاصة إذ ما من مقاومة وطنية جزائرية إلا ونجدها ارتبطت بطريقة أو بأخرى بالمقاومات الشعبية آما من ناحية القيادة أومن ناحية التأطير الروحي والعسكري ا وان جنود ومجاهدي تلك المقاومات كانوا ممن تخرجوا من الزوايا أو كانت لديهم قناعات أو ارتباط بطريقة من الطرق . لذا اهتمت القيادة السياسية والعسكرية بتلك المقاومات واستغلتها بهدف الحفاظ على عنصر الاستمرارية والديمومة .كما استغلتها فرنسا من اجل القضاء على الخصوم مثلما حصل مع الأمير عبد القادر والتجانية .أومن اجل التوسع في الجنوب الكبير خاصة وان التجانية كان لها نفوذ كبير في الجنوب الجزائري الكبير فإلى أي مدى كانت مساهمة التجانيين في صنع التاريخ الوطني والى أي مدى نجحت فرنسا في كسبها ضد الخصوم وما دور المغرب الأقصى في هذه المعادلة .

The Sufis played a prominent role in the history of Algeria in general and the history of popular resistance, especially since there is no Algerian national resistance but we find it in some way related to popular resistance either in terms of leadership or in terms of spiritual and military framing and the soldiers and mujahedeen of those resistors were those who graduated from the angles or had Convictions or association in a way. So the political and military leadership took care of these resistances and exploited them in order to preserve the element of continuity and permanence. France also exploited it to eliminate the adversaries, as happened with Prince Abdelkader and Tijaniyah. I believe in expansion in the great south, especially that Tijanism had great influence in the great Algerian south. The extent to which the Tannanis contributed to the making of national history And to what extent France succeeded in winning against opponents and Morocco's role in this equation.

الكلمات المفتاحية: الصراع/ الأمير عبد القادر/ زاوية/ عين ماضي/ المغرب/ فرنسا

مقدمة:

لقد سعى الأمير عبد القادر في إطار بناء دولته واستكمال معالمها إلى تحقيق الأمن الداخلي وذلك من خلال القضاء على الخصوم الذين سعوا إلى التقليل من هيبته وهيبة دولته الناشئة التي سعى إلى توطيد أركانها خاصة بعد توقيعه لمعاهدة تافنة حيث عمل على إستصدار فتاوى في هذا الشأن وكانت واجهته المغرب الأقصى خاصة في أزمة صراعه مع أحمد الصغير التجاني الذي كان مناوئا ومعاديا لمقاومة الأمير عبد القادر كل ذلك بإيعاز من سلطة الاستعمار الفرنسي والدسائس التي يحبكها ليون روش الذي غذى نار الفتنة بين الطرفين.

لقد كانت المواجهة حتمية بين الطرفين ومن هنا كانت اشكاليتنا كالآتي: ما هي الأسباب الحقيقية للصراع بين الأمير والتجاني؟ وما موقف المغرب الأقصى وفرنسا من هذا الصراع وكيف استغلت فرنسا الصراع بين الرجلين لخدمة مصالحها؟ وما هي الأدوار التي لعبها ليون روش لتغذية النزاع بين الطرفين؟ وكيف استطاعت فرنسا أن توظف الصراع لخدمة أطماعها التوسعية في الجنوب الكبير؟

أولاً: أسباب الصراع بين الأمير والتجاني وموقف المغرب الأقصى:

عندما استفحل الصراع بين الرجلين وبعد رفض أحمد التجاني أوامر الأمير عندها قام الأمير بإرسال وفود إلى المغرب للاستفتاء في هذه الأزمة ففي الوقت الذي أرسل فيه الأمير عبد القادر [1] شقيقه محمد السعيد إلى السلطان مولاي عبد الرحمن[2] كان قد أعقبه مباشرة بإرسال وفد آخر شبه عسكري وبحوزته أحد المتمردين على السلطان وهو الحاج عبد الله البغدادي للنظر في أمره. ولما وصل إلى السلطان أمر بزجه في السجن، وكان هذا العمل من الأمير عبد القادر ردا للجميل الذي قدمه السلطان من خلال الفتاوى الصادرة من علماء فاس والتي تخدم حركة الجهاد بقيادة الأمير عبد القادر والتي تدعو بضرورة القضاء على الفتن وجمع الجهود ومحاربة المعارضين وكانت نية الأمير عبد القادر هو كسب ود المغاربة وملكهم ضد زعيم الزاوية التجانية[3] محمد الصغير التجاني[4] الذي كان مناوئا ومعاديا لمقاومة الأمير عبد القادر كل ذلك بإيعاز من سلطة الاستعمار الفرنسي والدسائس التي يحبكها ليون روش الذي غذى نار الفتنة.

وفي محاولة من الأمير عبد القادر لجس نبض السلطان المغربي بعد صدور فتوى علماء فاس والتي تبيح استخدام القوة ضد المتمردين ونظرا للمكانة التي كان يتمتع بها التجانيون لدى السلطة المغربية لجأ الأمير عبد القادر لاستشارة السلطان واستئذانه في هذا الأمر فأذن له عبد الرحمان بن هشام بضرورة معاقبة رئيس الزاوية المتمرد على الأمير [5]. وقد أعد الأمير عبد القادر العدة للمواجهة ووجه إنذارا للتجاني الذي رفض السماح للأمير بدخول أسوار عين ماضي.

وعندما أحس بالخطر كتب التجاني رسالة إلى السلطان المغربي مشتكيا إليه عدوان الأمير، غير أن السلطان لم يعترض على الحملة ونصح الأمير بعدم استخدام القوة لكن ابتداءا من 2 جويلية 1838م شرعت قوات الأمير عبد القادر في محاصرة أصوار عين ماضي وفي هذه الأثناء كاتب السلطان وبطريقة غير

مباشرة ليخبره بالوضع الجديد الذي آلت إليه، فأرسل له بكتابين عبر وكيله بفاس الطاهر بن جلون، طرح له في الخطاب الأول الأسباب التي تكمن وراء حملته وابتدأ ذلك بقوله: " حبيبنا وصديقنا واعز الناس لدينا القائم بأمورنا بالحضرة المولوية الحاج الطالب بن جلول... وبادر لقتالنا وخلط اعراب الصحراء غاية التخليط... اطلع لنا له على مكاتب بخط يده لبعض اهل الاغواط يذكر فيها انه خليفة الله في ارضه مع مكاتب لكافر الجزائر يقول له ان اشغل الحاج عبد القادر من تلك الجهة البحرية وانا اكفيك امره من جهة البر". ويفهم من هذا أنه أعلن تحالفه صراحة مع فرنسا ضد الأمير ثم يواصل خطابه ملينا نظرته نحو التجاني قائلا: " مع ان كنا نعتقد خلاف هذا ونعامله معاملة المرابطين كخير من اعيان الوطن ولا كان في ظننا ان يقع منه مثل هذا الفعل فكشف الله سريرته فعزمنا على السفر الى الصحراء ".

وفي هذه المرحلة يمكن القول أن التجاني والأمير حاول كل منهما كسب ود وعطف السلطان، ولذلك ظهرت مراسلات عديدة خلال الحملة، ومنها تلك التي بعثها عبد القادر قبل توجهه نحو عين ماضي وتظهر لنا عندما يذكر الأمير جواب ابن جلون له قائلا: " ولنرجع الى جوابكم، فنقول ان ما بعثته لنا من البارود والاخبية، وصلنا بارك الله فيك ومتعنا بحياتك" [6] ويوصيه بما تعهد به السلطان في مساعدته: " واذا وردت عليكم المدافع التي وعد بها مولانا نصره الله فاسع لنا في حرجها من الكور وغير ذلك بلطافة من مولانا "[7]، ويخبره أيضا أن صلح تافنا ما هو إلا محطة لبداية الجهاد. ويوصيه بجمع الأسلحة لذلك: " وما اخرنا عن عداوته الا جمع الحرج والاقامة، سهل الله لنا ذلك علي يدكم، فلا تقصر في جمع ما هناك... والمؤكد كذا به عليكم ان تجد في قضاء السلاح الجيد... ولتكن المكاحل بتوا فلها "[8]. ويختم الأمير خطابه بالسلام التام العام إلى أن يقول: " بأمر مولانا الخليفة السيد الحاج عبد القادر ايده الله "[9].

وبعد هذه الرسالة بشهر يكتب رسالة ثانية إلى الوكيل نفسه يخبره فيها بما فتح الله عليه من وجود منجم الرصاص، كما يوصيه بشراء الأسلحة قائلا: " فليكن في كريم علمك ان الله فتح علينا هذه الجهة بوجود الخفيف فان لم تشتروا لنا منه ما في الجريدة فلا عليكم من ذلك فانا وجدنا منه عددا كثيرا، وان اشتريتم فزيادة ولا نصرة الاصل ولا مضرة فيها، وانا لا زلنا محاصرين لقصرعين ماضي " [10]. وفي الوقت نفسه فإن التجاني راسل السلطان أيضا وهو ما يشير إليه الخطاب نفسه: " وقد عرفناك بذلك ربما يبلغكم الخبر على غير وجهته "[11].

وهذا ما يوحي لنا بقوة الصراع الخطابي بين الأمير والتجاني حول السلطان، ويبدو أن هذا الأخير قد تأثر هذه المرة بنشوب الفتنة بين الزعيمين المسلمين اللذين يمثلان طائفتين من أقوى الطوائف الصوفية نفوذا في الغرب الجزائري والمغرب الشرقي وما يؤكد لنا تأثر السلطان هو أحد التقارير الواردة للقنصل دوماس dumas[12] " بان السلطان طلب من عبد القادر ترك اهل عين ماضي في سلام "[13].

ثانيا: حصار عين ماضي وأثر ذلك على مقاومة الأمير:

واصل الأمير حصاره لعين ماضي مدة ستة أشهر، من 27 ماي حتى 2 ديسمبر 1838 حسب بعض المصادر إلا أن تشرشل يذكر أن إخلاء عين ماضي كان في ثمانية أيام، ما يبين أن تشرشل اعتمد على تاريخ 4 جانفي وهو التاريخ الذي طلب فيه التجاني من الأمير عبد القادر بالابتعاد أكثر لما أوشك على

مغادرة عين ماضي[14]، بينما المدة الحقيقية التي وردت في جميع المصادر هي أربعين يوما أي من 2 ديسمبر إلى تاريخ رفع الحصار 12 جانفي 1839م تاريخ دخول الأمير إلى قصر عين ماضي[15].

ورغم المحاولات الرامية لاقتحام أسوارها لم يتمكن منها، عندها تأكد الأمير عبد القادر منذ وصوله إلى عين ماضي وفشله في اختراق أصوارها، أن المعطيات التي قدمت له من قبل خليفته على الأغواط حول عين ماضي وقبائل المنطقة كانت معلومات خاطئة ومبالغ فيها. وبالتالي وجد نفسه أمام خيارين إما الانسحاب ويعتبر ذلك نقطة ضعف وتراجع عن مكانته في الصحراء للسيد الجديد وهذا ما عبر عنه تشرشل: " وكان قلق عبد القادر شديدا. لقد سبق له في الكثير من المناسبات ان واجه الصعوبات والمشاكل ولكن لم يسبق له ابدا ان دخل في صراع، له عواقب هامة كهذا الصراع. انه ان اعترف بفشله برفع الحصار فان جميع الصحراء ستبقى خارجة عنه لذلك انه يفضل الموت على الاستسلام "[16].

ونتيجة لمحاولات الوساطة التي قام بها السلطان المغربي عبد الرحمن بن هشام وزعماء ومشايخ الطرق الصوفية في الصحراء قبل التجاني الدخول في مفاوضات مع الأمير ابتداء من 17نوفمبر 1838م بواسطة مصطفى بن التهامي، فطلب الأمان على نفسه ومن معه، ومهلة أربعين يوما، للجلاء عن الحصن، فعرض ذلك على الأمير الذي أجابه بشروط ذكرها صاحب التحفة [17]. فأمر حسب هنري تشرشل: " بتخريب الحصن فالصق سوره وسائر دوره وأبراجه بالأرض "[18].

بعد أن تم له ذلك أقفل عائدا إلى عاصمته بعد أن عين على منطقة عين ماضي عامله قدور بن عبد الباقي البصري. ونجد في رسالة الأمير عبد القادر محاولات لتبرير هجومه على الشيخ التجاني خاصة إذا علمنا أن التجانية وشيخها كان لها صدى وسمعة كبيرة على طول الحدود المتاخمة للجزائر ويعود هذا الصدى إلى عهد السلطان سليمان الذي احتضن الطريقة التجانية. ويبدوا أن الأمير عبد القادر وقع في خطأ عندما هاجم شيخ الطريقة التجانية إذ كان في الإمكان كسبه إلى صفه. هذا الاعتداء دفع بشيخ الطريقة التجانية إلى الوقوف إلى جانب فرنسا وإلى جانب مراكش عندما كانا الطرفين حليفين في مواجهة الأمير عبد القادر بل أن التجانية وأتباعها كان لها دور كبير في محاصرة الأمير عبد القادر في الشرق المغربي وتصفية مقاومته هناك[19].

لقي الهجوم معارضة قوية من داخل الجزائر وخارجها فالأسلحة التي اشتراها لجهاد العدو وظفها ضد التجاني، ولذلك دعاه المرابطون الهاشميون إلى ترك الناس الذين لا علاقة لهم بالحرب بسلام، لأنه كان يدعوهم إلى الحرب المقدسة، فرأوه وقد هادن العدو للمرة الثانية، ولذلك قدموا له شكاويهم باعتباره أنه ضحى بمصالح الدين على حساب طموحاته الشخصية. وما يؤكد هذا التوجه تقرير دوماس الذي جاء فيه: "بان الامير ومنذ السلم فقد الكثير من تأثيراته الدينية التي كان يمارسها على العرب، وبعثه عين مهدي ماضي لم تكن الا لتزيد من الغضب "[20].

إلا أن الأمير عبد القادر تمكن من إقناع معارضيه، عن طريق السلطان نفسه، كما لعب وكيله ابن جلون دورا كبيرا بفاس في تغيير موقف السلطان وفتاوى علماء فاس ضد معارضيه. وما يؤكد لنا أيضا موقف السلطان الايجابي هو ذلك الدعم المادي العسكري الذي قدمه له خلال شهر أوت1838 .

لقد أدى تخريب مدينة عين ماضي إلى ردود فعل أولية لم تكن في مصلحة الأمير عبد القادر حيث رأت فيها الكثير من القبائل إخلالا بذلك الاتفاق الذي بينه وبين التجاني كما أن هدم الحصن عمق الهوة بين الأمير عبد القادر والتجاني الذي استغل استعانة الأمير عبد القادر بالقوة الفرنسية في محاصرته لعين ماضي، ليشنوا عليه حملة دعائية لدى سلطان مراكش متهمين الأمير بالخيانة والتحالف مع الكافر ضد المسلمين مشككين في جهاده[21]. ويذكر أيضا سعد الله أبو القاسم: " أن فالي مد الأمير بمدفعين وبهما تم اقتحام المدينة " [22]، إلا أن يوسف مناصريه يقول: " ولولا الذخيرة التي وصلت إلى الأمير من وكلائه بالمغرب لما تمكن من اقتحام الحصن " [23]. والحقيقة هي أن الأمير انطلق بتسع مدافع، وأمده سلطان مراكش بمدفعين وبذخيرتهما، وفالي أيضا بمدفعين ليصبح المجموع 13مدفعا ولا يمكن هنا ذكر طرف وإهمال طرف آخر.

لقد استغل الأمير فرصة بقائه في الحصن بعين ماضي للرد على الاشاعات المغرضة التي وجهت إليه فكتب رسالة مطولة لقبائل الصحراء وللسلطان وكذا لسلطات فرنسا نقتضب منها بعض الكلام إذ يستهلها: " الحمد له وصلى الله على من لا نبي بعده، وبعد، فان الله تعالى، منذ ولانا امر المسلمين، والنظر في مصالحهم، لم نزل نجتهد، ونسعى في تأليف قلوبهم، على الاتحاد والخضوع لشريعة سيدنا محمد لقوله عز وجل " ولتنازعوا فتفشلوا، وتذهب ريحكم " وقد توجهنا هذه المرة الى الاغواط لجمع كلمتهم، واصلاح فسادهم. فاظهر عامة اهلها، غاية الطاعة والانقياد، الا ما كان من التجاني، ومن انتهى اليه تجاهروا بالشقاق، وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فأمرناهم بالرجوع الى الحق وحذرناهم من شق عصا المسلمين"[24].

ثالثا: الدور الفرنسي في تغذية الصراع:

إذا كانت فرنسا قد انحازت لزاوية تماسين أثناء سوء التفاهم الذي وقع بين هذه الأخيرة وزاوية عين ماضي حول مسالة الوراثة والمداخيل، إلا أنها مع نهاية القرن التاسع عشر، ومنذ أن تزوج أحمد التجاني شيخ زاوية عين ماضي بالفرنسية أور يلي بيكار، بدأت فرنسا تعمل على تقوية زاوية عين ماضي وتهيئها لتلعب دورها. وازدادت هذه الرغبة مع تطلع فرنسا نحو احتلال المغرب الأقصى[25].

كما أن أحمد التجاني طالب السلطات الاستعمارية بإرسال ضباط فرنسيين إلى عين ماضي لحراستها مقابل تزويدها بكل المعلومات الخاصة بالصحراء والتي تساعد الفرنسيين على تسهيل مهمتهم من أجل التوسع في الجنوب الغربي الجزائري ومنه إلى المغرب، هذا مع العلم أن استعمال مشايخ الطريقة التجانية لنفوذهم لصالح السلطات الاستعمارية في الوقت الذي عمت فيه المقاومات الشعبية مناطق الحدود لم يقتصر على هذه الأخيرة بل تعداه إلى المناطق النائية من القارة الإفريقية. حيث وجه شيخ الطريقة التجانية الانتباه في المنطقة الجنوبية الغربية يخبرهم بقدوم الضباط الفرنسيون ويوصيهم

بضرورة مساعدتهم لأن في ذلك خير للمنطقة. حيث أن سكان المنطقة سيجنون فوائد جمة من ذلك كربط علاقات تجارية تمكنهم من الحصول على بضائع ثمينة بأسعار منخفضة وأن كل من يقدم لهم الحماية ويسهل عليهم العملية سيجازى في الدنيا والآخرة. وأيضا تزويد القوات الاستعمارية بكل ما تحتاجه من معلومات عن الصحراء والحصول على مكاتيب من مشايخ الطرق الصوفية أو مصاحبة أحد ممثليها للمستكشفين الفرنسيين لتوفير الحماية لهم والأمان عند تنقلهم في الصحراء الجزائرية.

رابعا: انعكاسات هذا الصراع على التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية:

من شهادات الفرنسيين على خدمات الطريقة التجانية للحملات الفرنسية في الجنوب الجزائري وجود مقدمي الطريقة التجانية ضمن تلك الحملات الذي أعطى في رأيهم صبغة شرعية لحملاتهم في المنطقة وكان له الأثر الأكبر على سكان الصحراء الجزائرية كما أعطى نفوذ الطريقة التجانية في تلك الجهات أمانا لرحلات هؤلاء المغامرين والمستكشفين في إتمام مهامهم كطلائع استعمارية.

توسط مشايخ الطريقة التجانية بين السلطات الاستعمارية وسكان تلك المناطق حيث اعتبرهم الفرنسيون أفضل أداة في هذا الشأن كل ذلك بهدف تسهيل مرور القوافل التجارية والاستكشافية ومساعدة فرنسا لإنجاز مشاريع السكك الحديدية والتي تعتبر كلها ممهدات لحملات شاملة لغزو المنطقة ولإلحاقها بفرنسا. كما كان للطريقة التجانية دورا كبيرا في إزالة تلك النظرة العدائية لسكان الصحراء لهؤلاء الغزاة الفرنسيون حيث سعى مشايخ ومقدمي الطريقة التجانية إلى إظهارهم على أنهم جاؤوا لتخليص سكان المنطقة من العزلة ولجلب الخير والمنفعة العامة ولخلق فرص جديدة للرزق وأنهم بذلك يستحقون التقدير والاحترام. والسماح لقادة تلك الحملات من دخول زوايا الطريقة التجاني ومرافقتهم في ذلك رغم أن هذا الأمر محرم شرعا، وبذلك تكون لتلك المعاملة التي تلقاها الفرنسيون على يد شيوخ الطريقة التجانية أثار وقعا إيجابيا من شأنه أن يزيل تلك الحواجز والنظرة السلبية للأجنبي وهو الأمر الذي سعت إلى تحقيقه دوما القوات الفرنسية بغية تهيئة النفوس لتقبل الأمر الواقع[26].

من خلال كل هذه المعطيات يتبين أن الطريقة التجانية كانت حريصة كل الحرص على مساعدة الفرنسيين خدمة لمصالحها ، إذ أن الضابط الوحيد الذي كان يدفعها إلى هكذا تصرف هو المصلحة وضمانتها في رأي مشايخ تلك الطريقة هو الاستعمار الفرنسي حتى ولو كان ذلك على حساب المقاومة الشعبية التي كانت تعاني من هزات ولم يكن في مقدوره أن يضمن مصلحة هؤلاء الشيوخ أمام قوة تكبره وتفوقه في كل المجالات إذ أن تصرفات مشايخها يمكن تبريرها بالدوافع التالية:

يبدو أن ذلك الولاء والتواطؤ يجد مبرراته فيما تعرضت له الطريقة التجانية من إذلال أيام الأمير عبد القادر، ذلك أن هذا الأخير حاول وبكل ما في وسعه أن يجعل الطريقة التجانية إلى جانبه لما لها من قوة ونفوذ في المناطق الصحراوية لكنه فشل في هذه المهمة فأعلن الحرب عليها بعد حصار شديد ومن هنا استاء أتباع ومشايخ هذه الطريقة من هذا الإجراء العسكري واعتبروا ما قام به الأمير جرما لا يغتفر

وعدوه ألد أعدائهم[27]. وكرد فعل على ذلك وقفت الطريقة التجانية إلى جانب القوات الاستعمارية بقيادة فالي[28] وآزرتها ضد العدو المشترك ووضعت ثقلها في خدمة التوسع الفرنسي في الصحراء.

المصلحة الشخصية التي كثيرا ما تبدو المحدد الأساسي لمواقفهم من الوجود الاستعماري، حيث كان ينظر مشايخ تلك الطريقة للاستعمار أنه وسيلة لتوسع نفوذ الطريقة في هذه المنطقة ومنه إلى الدول الإفريقية، فمن توات تستطيع الطريقة التجانية أن تبسط نفوذها باتجاه المحيط الاطلسي[29].

الزيادة في مداخيل الطريقة التجانية من الهدايا والأعطيات التي كانت تجنيها الطريقة من أتباعها إذ في نظر أتباع الطريقة التجانية كلما زاد عدد الأتباع زادت معهم مداخيل الزاوية وبذلك باع هؤلاء الوطنية والدين بأغراض الدنيا.

لقد حاول قادة الطريقة التجانية في الجزائر أن يفرضوا فكرة القضاء والقدر لتبرير مواقفهم السياسية ليس فقط في الجزائر بل في كل البلاد التي شملها نشاط هذه الطريقة ومن ثم سعوا إلى تهيئة النفوس لتقبل فكرة الاستعمار ونجح بذلك ليون روش وبمساعدة أحمد الصغير التجاني بإصدار الفتوى في هذا الشأن.

كان الفرنسيون يعلمون أن الزاوية التجانية بفاس لا ترغب في التعامل معهم مما دفع بهم إلى الضغط عليها عن طريق الزاوية الأم في عين ماضي، فذهب سيدي محمود بن سي البشير سنة 1911م لنشر الدعاية في أوساط أتباع التجانية بالمغرب، وبعد توقيع معاهدة الحماية حاول الفرنسيون وعن طريق التجانيين والموالين لها، في نفس الوقت كانت الزاوية الأم بعين ماضي تحاول أن تسترجع نفوذها، ولم تدخر أي جهد لمساعدة السلطة الفرنسية في الجنوب الكبير، حيث كان موقفها منحاز لفرنسا خلال حملاتها التوسعية عن طريق نشر الدعاية في وسط القبائل الثائرة وحثها على مسالمة الفرنسيين[30].

الخاتمة:

ومن هنا يمكن ان نستنتج أن المواجهة بين الأمير عبد القادر والتجاني كانت واحدة من الأسباب التي ساهمت بطريقة أو بأخرى في اضعاف الأمير ومقاومته إذ ارتمت الطريقة في أحضان فرنسا وكانت بمثابة عينها التي ترى وأذنها التي تسمع ويدها التي تبطش بها كما تحالف التجانيون مع السلطة المغربية خلال فترة الحصار وكانت بذلك إحدى معاول الهدم للمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر. إلا أننا في الأخير ورغم ما تعرضت له الطريقة التجانية من تناقضات في مواقفها إلى درجة اتهامها بالعمالة للاستعمار إلا أن هذه المواقف لم تشمل كل الأتباع والمقدمين ومن هنا لا يمكن تعميمها بدليل النجاح الكبير الذي حققته في السودان الغربي، كما لا ينكر أحد دورها البارز في نشر رسالة الاسلام والشواهد التاريخية كثيرة وليس هذا المجال لذكرها.

الهوامش:

1. الأمير عبد القادر : ولد بتاريخ 23رجب 1222هـ/1808م بمعسكر، تربى في بيت علم وجاه، كان والده شيخا للزاوية تنتمي للطريقة القادرية، بويع في نوفمبر على إمارة الجهاد 1832م بعد أن رفض والده محي الدين ذلك وأشار عليهم بابنه عبد القادر وكان عمره 25سنة، وقد بويع نظرا للمهارات التي تمتع بها خاصة في مجال الفروسية إضافة إلى ما كان يتمتع به من بسطة في الجسم ورجاحة في العقل وسعة في العلم والشجاعة. عارضت مقامته بعض الطرق الصوفية خاصة الطريقة التجانية التي دخلت معه في صراع. توقف عن مقاتلة الفرنسيين بتاريخ 27ديسمبر 1847م وأودع السجن مع أهله بعد أن نكثت حكومة لويس فيليب بعهودها، أطلق سراحه في عهد نابليون الثالث وكانت وجهته دمشق حيث أصبح يتمتع بسمعة طيبة محليا ودوليا. توفي هناك 1883م. للمزيد أنظر عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، د. م. ج. الجزائر، ط1، 1982، ص8 وما بعدها.
2. محمد بن عبد الرحمن بن هشام: لعب دورا كبيرا في عهد والده، إذ كانت له حرية التصرف في شؤون الدولة فيما بين 1844–1859م. كان في البداية من أنصار القضية الجزائرية ثم تخلى عن موقفه. شارك إلى جانب والده في الحملة العسكرية الأخيرة ضد الجزائريين. بويع بالخلافة سنة 1276هـ-1859م، عرفت فترة حكمه العديد من الفتن الداخلية منها ثورة عرب الرحامنة، معركة تطوان ضد الأسبان. منح امتيازات كثيرة للفرنسيين. يراجع المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ط 40 المجلد6، 2003، ص198.
3. تنسب الطريقة التيجانية إلى صاحبها الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني الحسيني، ولد سنة 1737م بدائرة عين ماضي ولاية الأغواط الجزائرية، لقب بالتيجاني نسبة إلى القبيلة التي تنتمي لها والدته وأخواله (بنو توجين)، نشأ في بيت صلاح وتقوى ووسط عائلي محافظ، حفظ القرآن الكريم برواية نافع عن أستاذه أبي عبد الله محمد بن حمو التيجاني المضاوي وعمره لم يتعدى سبع سنوات، ثم راح يطلب العلوم الأصولية والفرعية حتى تفرس فيها على يد الأستاذ الخبير والمرشد البصير الشيخ البركة المبروك ابن أبي عافية التيجاني المضاوي. للمزيد أنظر العراقي إدريس: اليواقيت العرفانية في التعريف بالشيخ أحمد التيجاني وبطريقته وزاويته الأم التجانية، مرقون ضمن أعمال ندوة الطريقة التجانية التي انعقدت بفاس من 23 إلى 29 ديسمبر 1985، ص ص78-79.
4. أحمد التيجاني: ولد سنة 1737م بعين ماضي، كان عالما زاهدا اشتهر بالصلاح يقصده الناس للانتفاع والتبرك، أسس طريقته سنة 1786م. له مؤلف " المناش " ذكر فيه مبادئ طريقته والآداب الصوفية والحقائق الإلهية. خلف التجاني ولدين محمد الكبير الذي ولد سنة 1796م ومحمد الصغير الذي ولد سنة 1799م، تولى سي محمد الكبير رئاسة الزاوية التجانية بعد وفاة والده سنة 1230هـ الموافق لـ1815م ودخل في نزاع مع السلطة العثمانية بالجزائر بإيعاز من سلطان المغرب المولى سليمان. قتل سي محمد الكبير في مواجهة مع باي وهران بالقرب من معسكر وخلفه أخوه سي محمد الصغير على رأس الزاوية التجانية. للمزيد من المعلومات، أنظر:

Louis Rinn : Marabouts et Khouan , études sur l'islam en Algérie, dolphe Jourdan libraires éditeur Alger, 1884, p p 416 – 431.

5. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، الطبعة 1، ص217.

6. Yver George: Abdelkader et le Maroc en 1838, R.A, 1919, O.P.U Alger, 1986, p 93-23.

7. Ibid, p .94.

8. Ibid, p.95 .

9. Ibid, p.95 .

10. Ibid, p.99 .

11. I bid, p. 94 .

12. أوجين دوماس O. Doumas: (1803- 1871م)قائد عسكري من مدرسة الخيالة بسومير فرنسا برتبة نقيب مساعد في 1827. رقي إلى رتبة نقيب عام 1835م في جيش قناصة إفريقيا، عين بعد معاهدة التافنة 30ماي 1827 قنصلا لفرنسا في معسكر من 15 نوفمبر 1837 إلى 15أكتوبر 1839 عشية استئناف المواجهة مع الأمير، عين مدير الشؤون العربية بالجزائر عام 1844 ورقي إلى رتبة عقيد على فرقة الصبايحية، وفي 1850 تولى إدارة الشؤون الجزائرية بوزارة الحربية ومنها عين مستشارا بمجلس الدولة بفرنسا ثم عضوا في مجلس الشيوخ 1858. اختير للقاء الأمير لمعرفته اللغة العربية في جانفي 1848. من مؤلفاته :الصحراء الجزائرية باريس 1845، القبائل الكبرى 1847، عادات وتقاليد جزائرية باريس1857.

13. Yver, op cit, p .109.

14. شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعدالله، الجزائر، 1982، الطبعة 2، ص131.

15. محمد بن عبدالقادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، الجزء 1، المطبعة التجارية الإسكندرية، 1903، ص302.

16. شارل هنري تشرشل ، المصدر السابق، ص131.

17. محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ج1، ص302.

18. شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص131. وتتفق معظم المصادر والمراجع حول هذه العملية.

19. الصديق بن العربي، كتاب المغرب، دار الغرب الإسلامي المغرب، ط3، 1984، ص99.

20. Yver, op cit, p 110-30.

21. Yver, op cit, p110.

22. ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج1، ص218.

23. يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1832- 1847، م. و. ك. الجزائر، 1990، ص31.

24. محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ج1، ص302.

25. بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركز بالجزائر (1782-1900)، رسالة ماجسيتر غير منشورة،جامعة الجزائر، 1998، ص243.

26. Brosselard,H : Les deux missions Flatters au pays des touareg azdjers et Hoggar, ancienne librairie Paris, 1883, p17.

27. Arnaud M. : Siège d'Ain Madi par El hadj Abdelkader Ben Mohi Ed-Din,Revue africaine., Novembre1864 p p435-453 et aussi Septembre 1964. p p.345-371.

28. سيلفان شارل فالي sylvain Charles Valée: ولد في بريان لو شاتو بتاريخ 17ديسمبر 1773. أبواه شارل فالي ولويز بونجور. تطوع في الجيش بصفة تلميذ ضابط في شالون سورمارن في الأول من سبتمبر 1792م وتخرج برتبة ملازم بتاريخ 1جوان 1792 ثم رقي إلى رتبة ملازم أول في 3جانفي 1794 فنقيب في 27أفريل 1895 ثم رائد في 13ماي 1800 فمقدم في 7ديسمبر 1804 وعقيد في 29جانفي 1806 ثم عميد في 13جانفي 1807. حارب في إسبانيا من 15 جانفي 1809 حتى 6أوت 1811 ثم أعيد إلى فرنسا حتى يحال على التقاعد بتاريخ 12 اوت 1834 أعيد إلى الخدمة الفعلية في 20مارس 1834 ليرسل إلى الجزائروتسلم منصب الحاكم العام ابتداءا من 1ديسمبر 1837 حتى 29جانفي 1841. للمزيد أنظر:

Larousse, TOME 3: PARIS, 1966, p.960.

29. Dépont octave et coppolani Xavier : Les confréries musulmanes, Jourdan Alger, 1987, p440.

30. بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص243.